

الملتقى الوطني: حداثّة الكتابة الأدبية والصحفية في الراحل عياش يحيايوي

المحور الثالث: قراءة في الأعمال الأدبية والصحفية للإعلامي عياش يحيايوي (قراءات تطبيقية مختارة)

شعرية العتبات النصية في رواية "لقبش" لعياش يحيايوي

د/ سويسي نصيرة

أستاذ محاضر "أ"

قسم اللغة والأدب العربي - المسيلة -

المخلص:

لعل ما يميز سردية "لقبش" أنها من روايات السيرة الذاتية التي تجاوزت الرواية الجزائرية المشغولة بالادولوجيا، بل هي نمط من الكتابة التسجيلية، ومن أبرز ما تتميز به أنها تورخ أدبيا لجانب من معاناة الطفولة الجزائرية بعد الاستقلال، على الرغم من كونها تسجيلا لأحداث خاصة عاشها الكاتب".

ولقد وقع اختياري في هذه المداخلة على دراسة العتبات النصية (paratextes) في هذا العمل الإبداعي للراحل الشاعر والاعلامي و الأديب عياش يحيايوي لما في هذه المداخل من أهمية في قراءة النص، فهي تفتح أمام المتلقي أبوابا من أجل الغوص في هذه السيرة الذاتية واستكشاف خباياها الدلالية، والبحث في شفرات الطفولة بعد الاستقلال، وخاصة عندما يقع نظرك على عنوانها "لقبش"، فهو عنوان يغري قارئه المفترض، ويخلق لديه انفعالات ورغبات تدفعه إلى الولوج إلى عالم النص برؤية مسبقة في غالب الأحيان. ولن تتحقق هذه الرؤية إلا بالوقوف على العتبات النصية بنوعها **النشري الافتتاحي** (مناص الناشر) من غلاف، وجلادة، وكلمة الناشر، والأشهار، الحجم، السلسلة، و**التأليفي** (مناص المؤلف) من اسم الكاتب، والعنوان، العنوان الفرعي، العناوين الداخلية، الإهداء، التصدير، الحواشي والهوامش.

حبت تهدف هذه المداخلة التي تركز على القسم الثاني من أنواع العتبات على إبراز أهمية النصوص المحيطة بالنسبة لرواية "لقبش" لعياش يحيايوي، وفاعليتها في محاوره أفق انتظار القارئ

الكلمات المفتاحية:

العتبات النصية، لقبش كعنوان، اسم الكاتب، الإهداء، التصدير، عتبة الحواشي والهوامش.

شعرية العتبات النصية في رواية "لقبش" لعياش يحيايوي

العتبات النصية paratextes هي وحدات دالة تحيط بالنص الأدبي، ومن فاعليتها تحضير القارئ قبل الدخول إلى المتن؛ فقبل الخوض في غمار الرواية يمر المتلقي على عتباتها التي تمثل خارجيتها، فتمهد للقارئ ملامسة سحر هذه السردية واستكشاف خباياها الدلالية، وفك رموزها ومقاصدها و من أجل الولوج إلى عالم سردية "لقبش" للراحل الأديب عياش يحيايوي¹، وجب علينا الوقوف على العتبات المتوفرة والحاضرة في نسخة الطبعة الثالثة التي بين أيدينا، وهي كالاتي: عتبة الغلاف، عتبة العنوان، عتبة اسم الكاتب، عتبة التجنيس، عتبة الإهداء، عتبة التصدير (الاستهلال)، عتبة الحواشي والهوامش.

1- عتبة الغلاف:

ارتبط فضاء الغلاف بالتراسل السردية في تفاعل يجسد تفاعل اللون والصورة في بناء أحداث هذه الرواية نفسيا وسرديا من خلال جعل الصورة حكاية موازية للسرد، ففي صور الغلاف تتمظهر الملامح والقسمات والسمات، لذا كان هذا هو الباعث الأول في " الإقبال أو الاعتراض، ولذلك فإن العناية بتجويده، وإخراجه على الوجه الحسن من الإجراءات الجمالة الضرورية والمصطلحية"².

أولا - الغلاف الأمامي:

إن الغلاف الأمامي هو "العتبة الأمامية للكتاب التي تقوم بوظيفة عملية في افتتاح الفضاء الورقي"³.

ويعد الغلاف أحد العتبات البارزة التي تساعد في نجاح العمل الأدبي، لما يثيره في نفسية القارئ من حماس للاطلاع وحب كشف الغموض والاعراب الموجود في لوحة الغلاف. فهو يعتبر واجهة يقدم بها المؤلف روايته للمتلقي، وبالتالي يمكن القول أن لوحة الغلاف في سردية "لقبش" هي البوابة التي وصفها عياش يحيايوي للقارئ ليدخل منها المتن الروائي، حيث جاء غلاف سردية "لقبش" كعتبة أساسية تساعد القارئ في ولوج المتن لما يحمله من مؤشرات ودلالات تمثلت في دلالة الصورة و دلالة الألوان.

أ- دلالة الصورة:

لم يعد التواصل الإنساني يقتصر على الخطاب اللغوي، بل تعدى إلى الخطاب البصري فأصبحت الصورة تحتل المكانة لدى الإنسان المعاصر باعتبارها تحيط به من جميع الجوانب، وهي عنصر مهم من عناصر عتبة الغلاف التي لها دلالات تساهم في تأويل النص، فاللغة البصرية

هي "لغة بالغة التركيب، كما أنها لغة تعمل على نقل الأفكار والدلالات من لغة إلى لغة أخرى، لأنها تحكي الفكرة بلغة الشكل، الخط، اللون، الظل، الملامح، الاتساق البصري، والتنوع لتضعها في سلم القراءة وتنتهي بها إلى الفهم والإدراك عبر تحريك وإعمال العقل ومهاراته"⁴.

يتميز **غلاف سردية "لقبش"** بنوع من الخصوصية في تشكيل الغلاف وهو تطويع اللون الأبيض والبنّي ليتقاسما إخراج لوحة الغلاف، والملاحظ على غلاف سردية "لقبش" أنها تتضمن صورة فوتوغرافية حقيقية مثلت صورة المؤلف بحد ذاته في مرحلة طفولته، وهذه الصورة القديمة زمنيا- من حيث تاريخ التقاطها- اتسعت وأخذت وسط الغلاف بين لونين تقاسما صفحة الغلاف البني الغامق، والأبيض الناصع، والمتعارف عليه أن كل "صورة فوتوغرافية توحى بمجموعة من الدلالات اللاتابته ويبقى القرار للقارئ في اختيار أو إنتاج البعض منها"⁵، أي لا يمكن ربط الصورة بدلالة ثابتة لكن يمكن القول أنها تعبر عن رؤية الكاتب التي نجدها في المتن، والكاتب **عياش يحيوي** يؤرخ أدبيا لجانب من معاناة الطفولة الجزائرية بعد استقلال الجزائر على الرغم من كون سرديته تسجيلا لأحداث خاصة عاشها الكاتب.

ولقد جاءت صورة الطفولة هاته -التي تتوسط لوحة الغلاف- باللونين الأبيض الباهت والبنّي المسود فكانت أصدق تعبيراً عن صور تلك الأيام، فقد حملت دلالاتها الحقيقية التي تضافرت مع عنوانها "لقبش" ذلك الاسم الغامض بالنسبة إلينا والذي تناديه به أمه في مرحلة الطفولة لتكشف لنا عن نمط الكتابة التسجيلية لأحداث واقعية اختارها الكاتب في مؤلفه هذا لتكون ذاكرة بدوية محضة في منطوقها ومعيشها، يقول عياش يحيوي في سرديته: "وربما تنشط وراء اهتمام بالتراث الثقافي في الامارات رغبة خافتة وعميقة تنشد العودة إلى الطفولة، حيث زمن اللاوعي وغياب الأسئلة الكبيرة، وحيث كان الطفل البدوي مشغولا بالقمر والشمس والإبل والماعز والعصافير ونباتات البر وأطناب الخيام ورغاء الإبل في المراح وثغاء الشياه وهي عائدة مساء من المنتجعات بحثا عن خرافها الصغيرة في زرائب القرية"⁶. فالأعمال الفنية هي مرآة تعكس ما يحسه الكاتب وما يعايشه أيضا.

إنّ لعد عمد الكاتب "**عياش يحيوي**" في استعماله لصورته الشخصية كرمز لطفولة الجزائر في مرحلة ما بعد الاستقلال. ويمكن القول أنّ الكاتب نجح بإبداعه الفني في الربط بين الصورة البارزة على غلاف الرواية ومنتها، معبرا من خلال هذه الرمزية على الظروف التي عاشها الشعب في فترة ما بعد الاستقلال.

ب- دلالة الألوان:

لقد احتلت الألوان منزلة مميزة منذ القدم، فكانت الأساس لكل الأعمال الفنية التي تصور حياة الإنسان في مختلف ميادينها إذ عبر بواسطتها عن انفعالاته، وتجاربها فأكسبها دلالات معينة، وجعلها رموزا متنوعة تتوع آلامه وآماله: الحياة والموت، الأمل والخيبة، الحزن والفرح، الهزيمة والنصر، النور والظلام، الرحمة والقسوة، الرضا والغضب⁷.

وقد ارتبطت بالصورة وأصبح من الصعب إيجاد صورة خالية من الألوان وأصبحت هاته الأخيرة لها أيقونات ودلالات مشفرة تختلف باختلاف الزمان والمكان، بل باختلاف قصدية الاختيار عند الكاتب ومجازية التفسير وفك التشفير عن المتلقي، كما هو الحال بالنسبة للوحة غلاف سردية "لقبش" الذي يحوي لوان لا غير، إذ على طول الغلاف نجد لونين اصطبغت بهما اللوحة في مساحة موازية وهما اللون البني في جهة اليمين و الأبيض على اليسار؛ البني الذي كان شريطا طوليا يقطع حتى صورته الفتوغرافية ويتخللها، كما يتناثر بين اسمه وعنوان روايته ورقم الجزء الأول، فهو رمز للتراب والأرض التي احتضنته صغيرا، وهي أرض الحضنة لذا فهو يوحي بالأمان والاستقرار والطمأنينة باعتبار الإنسان يستقر في بيته، يقول **عياش يحيياوي**: "في وسط مدينة الحضنة ولد الفتى، ببلدة عين الخضراء التابعة إداريا لولاية المسيلة على بعد ساعتين من طبنة ونصف ساعة من مقرة، وقضى الفتى شطرا من طفولته لاهيا فوق أطلال مدينة طبنة غير مدرك لقيمتها التاريخية..."⁸

ويقابله اللون الأبيض الذي يعتبر لونا مضادا أضاء الغلاف نصاعة وكان يغطي أكثر من نصف الغلاف-ليؤسس الفهم بدرجة أقوى لهذا اللون- حتى أن العنوان الفرعي(سيرة ذاتية لحليب الطفولة) كتب باللون الأبيض، واخترق ظلمة الشريط البني كبريق الأمل الذي يخفق من بعيد. وغالبا ما يرمز اللون الأبيض إلى السلام والأمن فأراد الكاتب من خلاله أن يزرع روح التفاؤل من أجل مستقبل أفضل لأن "الكاتب لم يقصد في لقبش التأريخ لحياته بقدر ما كان يريد أن يرسم حياته بما تستوجهه التجليات الممكن توقعها في منظور سيرته الموضوعية والفنية؛ عليها تتحول هذه المسيرة إلى مكانة ذات قيمة تعكس تجربة حياة لها معنى."⁹

ثانيا: الغلاف الخلفي:

الواجهة الخلفية "هي العتبة الخلفية للكتاب ، والتي تقوم بوظيفة عملية، وهي إغلاق الفضاء الورقي"¹⁰. وهو لا يقل أهمية عن الغلاف الأمامي، ولقد هيمن اللونان البني والأبيض على فضاء

الغلاف الأمامي والخلفي للرواية وأصبحت أرضية تموضعت عليها العناصر الأخرى، فالغلاف الخلفي لسردية لقبش حافظ على اللونين : البني والأبيض، وكأن الغلاف تكلمة للجهة الأمامية للكتاب، وأخذت صورة المؤلف-في المرحلة الحالية- وسطور من سيرته في الإمارات شريطاً أو عموداً بُنينا كتب عليه مؤلفاته بخط أبيض رقيق غير ظاهر البياض مقارنة مع الشق الأبيض الناصع الموازي الذي دَوّن في مقدمته لا أقول نصاً سردياً، بل كلمات اختارها الكاتب من الفصل الأول "هبوب مشغول بمساره"، والذي هو أقرب أن يكون تقديماً للكتاب منه فصلاً من فصول الرواية تاركاً باقي البياض لصورة الأم المبتسمة التي تحمل في ملامحها طيبة المرأة الجزائرية وتقاؤلها، بل وصلابة المرأة الأرملة وسط أمواج الحياة (الدنيا بن الكلب كما عبر عنها الكاتب في إهدائه)...وفي الصورة امتنان واحترام واعتراف بالفضل إن لم يخني التفسير في شيء .

فالمؤلف لم يضمن الغلاف الخلفي مقطعاً سردياً كما عودنا أغلب الروائيين والكتاب بل هي كلمات يقول فيها: "أزعم أن هذا الكتاب الصغير هو الجزء الأول من ثلاثة أجزاء تحمل عنوان لقبش الاسم الذي كانت تتاديني به أمي في الطفولة، وسيتناول الجزء الثاني مرحلة عملي الاعلامي وما تتضمنه من أحداث إجتماعية وثقافية في العاصمة الجزائرية ومدينة وهران. أما الجزء الثالث فيتناول مرحلة عملي الاعلامي وانشغالي الثقافي في دولة الامارات العربية المتحدة"¹¹. ولكن للأسف رحل قبل كتابة الجزء الثاني والثالث فكان الأديب الراحل وشاعر الغربة وإعلامي الجزائر المفقود.

2- عتبة العنوان:

العنوان هو " حامل معنى، ومواز دلالي للنص، وعتبة قراءة مقابلة له، توجه القارئ نحو فحوى الرسالة ومضمونها، وهو حامل معنى من حيث كونه يوجه إلى مقصد بذاته ويلمح للمحتوى"¹². فالعنوان هو المفتاح الرئيسي للنص و العتبة الأولى التي تقع عليها الأنظار من أجل إعطاء مساحة لإشراك المتلقي في فك شفرتها وتحميل معناها على أكثر من حكاية لنص موازي وذلك لاختلاف الذات المتلقية نفسياً وتركيبياً ومدى استعاب ذلك الغموض المتربع وراء مجازية التعبير وقصدية الاختيار، ولكون العنوان "وجه النص مصغراً في صفحة الغلاف"¹³.

يتموضع عنوان السردية التي بين أيدينا في أسفل الصورة الفوتوغرافية للطفل عياش، وقد جاءت في كلمة واحدة هي (لقبش) تغري المتلقي المفترض، فالقارئ أثناء تلقيه العنوان يتبادر إلى ذهنه بمجرد قراءته لكلمة "لقبش" مجموعة من الأسئلة: ماذا يعني الكاتب بهذا العنوان؟ هل هي شخصية خيالية أو واقعية، هل هي كلمة فصيحة أم عامية؟ إلى غير ذلك من أسئلة يطرحها القارئ

في مخيلته، أي أن العنوان يثير في القارئ الحيرة والدهشة ومن هنا يدخل إلى المتن ليجد الأجوبة على الأسئلة التي طرحها.

وقد يجد إجابات عن تساؤلاته فيما كتبه المؤلف من سطور في الغلاف الخلفي قائلاً: "لقبش الاسم الذي كانت تتناديني به أمي في الطفولة"، فالعنوان والنص لهما علاقة حميمية، وكليهما يكمل الآخر، فهما وجهين لعملة واحدة، إذ لا يمكن أن يفصل بين اسم صاحب السيرة وسيرته الذاتية.

فعنوان "لقبش" مفتاح لسردية عياش يحيايوي التي نتسامر معها ونحاول فهم مقصديتها، يحمل في طياته دلالات عميقة تلخص أحداث ووقائع وقضايا عولجت في المتن، حيث قدم لنا الكاتب شخصية "لقبش" على أنها شخصية بأئسة تعيش قدرها بنسيم ثورة التحرير التي ناضلت من أجل أن يعيش المواطن عالماً وريداً فيه من النسيم العليل ما يمكن أن يحقق المستحيل الذي يتجاوز دراما الماضي ويستشرف عالماً حالماً...¹⁴.

ولقد وردت كلمة (لقبش) باللغة العامية معبرة عن ذاكرة جيل ما بعد الاستقلال والتي ظلت بدوية محظة في منطوقها، فلقبش يعود في الأصل اللغوي إلى كلمة الأغبش، ونجد لفظ الأغبش في المعاجم العربية كالأتي: العَبْشُ: شدة الظلمة وقيل بقية الليل، وقيل ظلمة آخر الليل عَبِشَ وَيَعْبِشُ، عَبِشاً وَعُبُشَةً، فهو أَعْبَشَ وَعَبِشَ. أَعْبَشَ الليل: عَبِشَ، خالط بياض الفجر بقية ظلمته. أَعْبَشَ الشيء: عَبِشَ: كدر لونه... أَعْبَشَ (مفرد) والجمع في ذلك أعباش....¹⁵

ولا شك في أن لقبش بمسماه الدلالي "يعني الكثير في غضب الأم على ابنها وإلا ما الذي يقودها إلى اختيار هذا الاسم وليس سواه، على الرغم من أن اسم لقبش بدارجة الشرق الجزائري كما وصفه سعيد بوطاجين هو الطفل المتسخ الحافي العاري ذو الشعر الكث؛ أي ذاك الذي كناه، نحن جيل الاستقلال الذين خرجنا إلى الدنيا بكل الفقر والهجم، والتشرد والعراء...¹⁶.

يظهر عنوان السردية في الغلاف الأمامي باللون البني أسفل الصورة الفوتوغرافية وكأنه يعرف بصاحب الصورة قبل أن يكون عنواناً للرواية، وبحجم كبير وبارز يواجه بصر المتلقي من الوهلة الأولى، فهو علامة إشهارية تجذب القارئ إليه وتغويه به.

وهذا الاشتقاق للون البني بين العنوان والصورة، وبين العنوان وباقي أجزاء الغلاف يعطي المتلقي إحساساً بأن لون التربة وأرض الحضنة دائمة الحضور في ذهن الكاتب ومتمته، وهذا ما نلمسه في سرده الحميمي في علاقة وصلية بالتراب والعادات والملبس واللعب والجوع والناس... ولقبش ليس سوى جزء منها فهو تعبير عن مرحلة من مراحل الجزائر التي يمكن إغفالها مرحلة الفقر واليؤس إبان الاستعمار، فكانت له قدرة إحياء غير مباشرة بالمضمون الداخلي الواقعي للسيرة الذاتية، وهنا قدرة الكاتب في الدلالة والتلميح عن فحوى نصه بلغة بسيطة وعامية، فعنوان السردية "لقبش" علامة بارزة وصورة حقيقية تعكس الذاكرة الشقية البائسة بشقيها المكاني والزمني، والتجارب التي مر بها أطفال الجزائر إبان حقبة الاستعمار وبعد الاستقلال.

كما يحمل العنوان عنصر التشويق بالدرجة الأولى، فزمنه هو زمن بعيد عن زمننا الحالي الذي أصبحنا لا ننادي فيه أطفالنا إلا بما يحبونه، وهذا يثير الفضول لمعرفة حياة الكاتب وطفولته والوقوف على سمات وقسمات هذه الشخصية التي ألحقت بها هذه التسمية وما حل بها من أحداث في طفولتها المفقودة.

إذن فعنوان السردية يحمل في طياته غموضاً يستدعي من القارئ بعض التركيز والفتنة بلهجاتنا ولغتنا العامية الجزائرية، خاصة إذا لم يكن من أبناء المنطقة حتى يستطيع فك شفرات مفردات هذا المتن الأدبي الذي أرجعنا إلى الزمن الماضي الجميل ببساطته.

3- عتبة اسم الكاتب:

تعد عتبة اسم المؤلف من أهم عتبات النص الموجود في غلاف سردية "لقبش" فهي تعطي الكاتب عياش يحيياوي حق الملكية العامة وتثبت هوية هذا العمل الأدبي، لكونها "العلامة الفارقة بين كاتب آخر فيه تثبت هوية الكتاب لصاحبه، ويحقق ملكيته الأدبية والفكرية على عمله دون النظر للاسم إن كان حقيقياً أو مستعاراً".¹⁷

واختيار موقع تموضع اسم المؤلف والذي ورد حقيقياً وليس مستعاراً في هذه السردية لا بد أن تكون له قيمة ودلالة معينة كما أشار إلى ذلك حميد لحميداني، قائلاً: "وضع الاسم في أعلى الصفحة لا يعطي الانطباع نفسه الذي يعطيه وضعه في الأسفل، ولذلك غلب تقديم الأسماء في معظم الكتب الصادرة حديثاً في الأعلى"¹⁸، وهذا هو الموقع الذي اتخذته عياش يحيياوي في سرديته حيث نجد اسم الكاتب في سردية "لقبش" يتموضع في الجهة اليمنى من أعلى الواجهة الأمامية، بخط عربي متوسط الحجم، وبلون بني غامق ليبرز وسط الشريط البني -الأفتح منه

بدرجات- الذي يغطي طوليا الشق الأيمن من الكتاب متداخلا مع الصورة الفوتوغرافية للطفل عياش.

إذ يتخذ الكاتب اللون البني مصاحبا لصورة الغلاف، ولعنوان الرواية، ولاسمة كمؤلف للكتاب، فهيمنة اللون البني بدرجاته اللونية هي هيمنة لتراب وأرض الحضنة على بنات وأفكار الكاتب، وحنين إلى طفولة مفقودة بجرها الغائر، وأيضا تغلغل اسمه وسط العمود البني بذات اللون يدل على ارتباط المؤلف بالنص الإبداعي ارتباطا مباشرا إذ لكل "فرد نسق ثقافي يتعرع فيه، ومعايير اجتماعية يتربى في حضنها، وظروف بيئية توجهه، سواء بوعي أو بغير وعي...¹⁹

كما نجد أيضا اسم المؤلف في الصفحة الثانية من الكتاب على الوجهين بلون الأسود الذي يراد به تثبيت اسمه وتحديد الملكية الفردية لا غير، أما في صفحة الغلاف الخلفي فلا نجد تكرار لذكر اسم المؤلف، بل اكتفاء بصورة فوتوغرافية للكاتب، وبعض السطور عن سيرته في الإمارات، وقد يكون في صورة الأم التي وضعت في الجهة اليسارية أسفل الغلاف الخلفي بحجم كبير مقارنة بصورة المؤلف دلالة على عدم الاهتمام باثبات الملكية وعدم التركيز على إثبات الذات الشخصية بقدر إثبات فضل الأم في هذه الملكية.

4-عتبة التجنيس:

المؤشر الجنسي نظام ملحق بالعنوان لهذا يعد نظاما رسميا يعبر عن مقصدية كل من الكاتب والناشر لما يريد من نسبته للنص كما يعرفه جيرار جينات، بمعنى أنه يأتي ليخبر عن الجنس الذي ينتمي إليه هذا العمل الأدبي سواء رواية أو مجموعة قصصية أو مسرحية أو شعرا....

فالمؤشر الجنسي إحدى العتبات المتواجدة في غلاف العمل الأدبي، وفي سردية "لقبش" ترمز عبارة (سيرة ذاتية لحليب الطفولة) التي تموضعت في الجانب الأيسر من لوحة الغلاف إلى جنس أدبي إبداعي، هو السيرة الذاتية كإعلان عن نوع النص الإبداعي الذي بين أيدينا. والملاحظ أن تجنيس هذا النص السردية ذكر في مكانين؛ الأول في صفحة الغلاف حيث ورد في الشق الأيسر واخترق اللون البني ببياضه الناصع، وهذا دليل على أن الكاتب يريد إثارة انتباه المتلقي للتجنيس بدليل قوله في الصفحة التاسعة من كتابه : "لا يفوتني هنا أن أشير إلى ما تضمنه الجزء الأول نشر كله في جريدتي الشعب والمساء في الجزائر قبل هجرتي إلى الإمارات،

ولقي اهتماما كبيرا من قبل المجتمع والمنتقنين، وكتب نقاد دراسات حوله نشرت في جريدة المساء. وأذكر أن الناقد الكبير محمد مصايف رحمة الله قال لي أمام باب الجامعة المركزية: "إنك يا عياش تلتفت في كتاباتك إلى جوانب أهملتها الرواية الجزائرية المشغولة بالادبولوجيا الاشتراكية"، ودعاني إلى مواصلة هذا النمط من الكتابة التسجيلية التي لا تدخل لا في الرواية ولا في خانة القصة، ومن أبرز ما تتميز به أنها تؤرخ أدبيا لجانب من معاناة الطفولة الجزائرية بعد استقلال الجزائر، على الرغم كمن كونها تسجيلا لأحداث خاصة عاشها الكاتب.²⁰

أما المكان الثاني الذي ورد فيه المؤشر الجنسي فهو في الصفحة الثانية حيث كتب تحت العنوان مباشرة، وبنفس حجم الخط الذي كتب به العنوان، بل كلاهما باللون الأسود إثباتا لجنس السردية المثبت في عنوانها.

إذن هنا فإن سردية لقبش من روايات السيرة الذاتية، وفي ذلك يقول الباحث عبد القادر فيدوح: "وفي ضوء ذلك سوف نتطرق إلى منجز لقبش بوصفه عملا فنيا يدخل ضمن سياق المتخيل الذاتي، سردا توثيقيا، يقترب من السيرة الذاتية ويجمع خصائصه من السرد الفني."²¹

5- عتبة الإهداء:

عتبة الإهداء هي العتبة الثانية بعد العنوان، ليست بالضرورة أن تكون مهمة على خلاف اسم المؤلف والعنوان، ولكنها تخلق علاقة بين المتلقي والكتاب، وتمثل بوابة حميمية توردنا إلى النص الأدبي، فالإهداء هو ممارسة اجتماعية، وتقليد عريق في النص الأدبي، وعلى هذا الأساس لا يخلو الإهداء من اختيار المهدي إليه أو العبارات، فهو يعتبر "تقديرًا من الكاتب وعرافان يحمله للآخرين سواء كانوا أشخاص أو مجموعات (واقعية أو اعتبارية)، وهذا الاحترام يكون إما في شكل موجود أصلا في العمل/الكتاب وإما في شكل مكتوب يوقعه الكاتب بخط يده في النسخة المهداة"²².

ولقد جاء الإهداء في سردية "لقبش" في طبعتها الثالثة كسرا للإهداء بعده تقليدا ثقافيا يتقدم به الكاتب بعبارات التقدير والعرافان الموجهة للقارئ، ويبدو أن الكاتب لم يصعب عليه إختيار الإهداء فقد خصه إلى طفل متسخ اليدين والقدمين يخاف لمس الخبز الأبيض، وكأنه أسقط التجربة بالتعميم دون تمييز وكأن لقبش موجود في كل طفل جزائري عاش فترة ما بعد الاستقلال، فهنا تظهر لنا معاناة الطفولة متمثلة في هذا الطفل الأغيب متسخ اليدين والقدمين والذي يعتلي مكانة مرموقة في السردية فهو بطلها.

ثم أهدا هذ العمل إلى الدنيا بنت الكلب-على حد قوله-، وهنا نقف على صورة تشاؤمية مبررة لهذه الدنيا التي وصفها وصفا عاميا بلفظة (بنت الكلب) لتقلبها وعدم وفائها إلا للآخرين(كفلان الكبير في السردية)...فلقد كان وصف الكاتب في شخص "لقبش" نابعا من ثقافة بيئته وما يعترئها من عوز وشقاء وتقلبات لا تعدو ولا تحصى.

وثالثا إلى الصمت الجبلي العالي، حيث نقف على صورة واقعية لهذا الصمت الجبلي، وهذه البيئة التي لطالما احتضنته وليدا، فقضى طفولته لاهيا فوق أطلال طبنة بترايها وتلالها وجبالها، وسكن بيوت الطين والشعر والخيام... فكنت كل مرة أفق بين صفحات كتابه أحس بصدق انتمائته وحبه لرض الحضنة وأتذكر الشاعر الرصافي البنسي، وما أصدقه وهو يعلل لبلاده الأندلس قائلا:

بلادي التي ريشت قويدمتي بها فريخا وأوتني قراراتها وكرا

مبادئ لين العيش في ريق الصبا أبى الله أن أنسى لها أبدا نكرى

فقد ذل الكاتب بهذا الإهداء الصعوبات التي تعيق فهم القارئ للنص، بل حمل معه قصة متقدمة بإمكانها التنبية إلى دلالات لاحقة، بل وقرب لنا خلفية المؤلف ومرجعياته. كما زاد هذا الإهداء النص جمالا ودلالة فهو لم يوضع عبثا بل بصيغة مقصودة ووجيهة.

6- عتبة التصدير (الاستهلال):

وإن كانت عتبة التصدير (الاستهلال) من العتبات المهمة في الرواية الحديثة والتي تأتي بعد الإهداء مباشرة فهي " فكرة أو حكمة تتموضع في أعلى الكتاب وبأكثر دقة على رأس الكتاب أو الفصل"²³، وهي بمثابة تحضير للقارئ لبداية جيدة للدخول إلى عالم المتن، فالكاتب عياش يحيايوي لم يستهل كتابه بمقولة أو إقتباسات لنصوص معروفة تقضي بالقارئ لمتن سيرته الذاتية أو تنبؤه بموضوع الكتاب.

لقد أخذت رواية "لقبش" منهاجا مغايرا في التصدير كسر به أفق أنظار المتلقي؛ إذ افتتح الكاتب سرديته بفصل يحمل عنوان "هبوب مشغول بمساره" وجاء يماثل الفصل في شكله، ولكنه يلعب دور مقدمة للكتاب في محتواه. وهذه هي المساحة الحرة التي أفضى فيها عياش يحيايوي في الحديث عن تجربته لفعل الكتابة في هذا العمل الأدبي، والأسباب التي حملته على الخوض في الكتابة أصلا- سواء كشاعر أو إعلامي-، والتي لم يجد مناصا من الخوض فيها، حيث نجده يقول: "في حياتي أحداث مركزية، الحدث الأول إنفصالي عن أهلي منذ كان عمري ست سنوات إلى كتابة هذه السطور...، الحدث الثاني هو رفض عمي عمار شراء دراجة هوائية لي...، الحدث الثالث هو

الحصار الرمزي الذي عانيت منه حين نزل على جسدي الصغير قمر الشعر...، والحدث الرابع....، والخامس...²⁴. لينتهي التصدير في هذه السردية الواقعية الذاتية في الصفحة إحدى عشر.

7- عتبة الحواشي والهوامش:

تعد هذه العتبة وسيلة للتعبير والتعليق لبسط فكرة في المتن، وشرح مفردة، وتفسير غموض، فالهوامش عبارة عن نصوص صغيرة تلتحق بالنص للتوضيح والتبيان، وتساعد المتلقي على استيعاب النص السردى وفهم مقاصده.

جاءت الهوامش في رواية "لقبش" للتوثيق والتعريف والتفسير والتوضيح وشرح بعض الكلمات الصعبة العامية، نأخذ على سبيل المثال: المقرين: نوع من السمن وأصل الكلمة فرنسي في الصفحة:117/ ميهة: تصغير الماء في ص:122/ المطمور: حفرة بيضوية الشكل لتخزين حبوب القمح والشعير/ البخوش: مرض معد يفتك بالدجاج في ص: 125....، الشامبيط، المقواسة، البثور، الزرزومية، الطابلية...والأمثلة لا تعد ولا تحصى على طول المتن الروائي، كما يستعمل في الحواشي كلمة (تم الشرح) لعدم إعادة شرح المفردات الصعبة التي في مجملها كانت باللغة العامية، وبلهجة أهل الحضنة بالأخص.

وربما جاءت الهوامش للتعريف بشخص ما كالتعريف مثلا في الصفحة 132 بفلان الكبير أو بابن باديس في الصفحة 15، أو الشيخ سي أحمد في الصفحة 97 وغيرهم. كما تأتي للتعريف بشارع مثل الشارع الكبير في الصفحة 133، يقول فيه: "شارع الشهيد ديدوش مراد من أكبر شوارع العاصمة الجزائرية". أو التعريف ببعض الألعاب التي يمارسها الأطفال قديما كلعبة "مطيرق الليل" و"مطمور الدك" في الصفحة 122. وقد تأتي الهوامش أيضا لتوضيح بعض النقاط بالتوسع في الأحداث-والتي إن دخلت المتن ستخرج المتلقي من سيرورة السرد- مثلا في الصفحة 110 يقول "ذات يوم ذبح خالي تيسا، وأثناء غروب الشمس تخطت زوجته...في حوالي 9 أسطر"، وفي الصفحة 111 يقول أيضا: "ذات يوميا زار الحاج الصديق رحمه الله عاصمة الجزائر...في حوالي 5 أسطر".

فالهوامش في سردية "لقبش" موجودة بنسبة كبيرة في الرواية، وجاءت مفسرة وشارحة ومكملة للمتن الروائي، والتي أراد عياش يحيوي من خلالها أن يخرج القارئ من دوامة غموض المفردات

خاصة إذا كان القارئ من غير أبناء المنطقة، فهو يدفع بالمتلقي إلى معرفة الأحداث من دون
عناء رغبة في محاولة الكشف عن تجليات الواقعي المرجعي للكاتب.
وهنا يمكننا القول أن عتبات سردية "لقبش" حملت معاني متعددة، ودلالات أساسية في
السردية حاولت استقراءها والنطق بمدلولاتها، إلا أنها تظهر لا متناهية القراءة، تختلف تأثيراتها
وانطباعاتها من متلقي لآخر.

- ¹- عياش يحيايوي: شاعر المهجر، وأديب الغربية وإعلامي الجزائري من مؤلفاته، لقبش (سيرة ذاتية لحليب الطفولة)، سيرة مكان (جولة في موروث الإنسان والجغرافيا بدولة الإمارات العربية المتحدة)، ابن ظاهر شاعر القلق والماء (دراسة تأويلية)، ديوان جزر الإمارات المحتلة، ديوان قمر الشاي... وغيرها
- ²- الصورة الشعرية وأسئلة الذات (قراءة في شعر حسن نجمي): عبد القادر الغزالي، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2004، ص 17.
- ³- ينظر التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث: محمد الصفراوي، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2008، ط 1، ص 134.
- ⁴- استراتيجية النص المصاحب في الرواية الجزائرية: سعدية نعيمة: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي للطاهر وطار، أنموذجا، مجلة المخبر جامعة بسكرة، العدد الخامس، مارس 2009، ص 227.
- ⁵سيمائية الصورة (مغامرة في أشهر الرسائل البصرية في العالم: قدور عبد الله الثاني، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص: 151
- ⁶لقبش (سيرة ذاتية لحليب الطفولة): عياش يحيايوي، الديوان للطباعة، ج1، ط3، 2016، ص: 08
- ⁷- ينظر الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها ودلالاتها): كلود عبيد، مراجعة وتقديم: محمد محمود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2013، ص 10.
- ⁸- لقبش (سيرة ذاتية لحليب الطفولة)، ص: 13
- ⁹المتخيل الذاتي في أحاديث لقبش: عبد القادر فيدوح، مجلة اللغة العربية، الجزائر، العدد 39، ص: 228
- ¹⁰- التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث: محمد الصفراي، ص 137.
- ¹¹الغلاف الخلفي لسردية لقبش (سيرة ذاتية لحليب الطفولة): عياش يحيايوي.
- ¹²العنوان في الثقافة العربية (التشكيل ومسائل التأويل): محمد بازي منشورات الإختلاف، دار العربية للعلوم، دار الأمان، ط 2012، ص: 19
- ¹³وظائف العنوان في شعر مصطفى الغماري: رحيم عبد القادر، مجلة أبحاث في اللغة والأدب، جامعة بسكرة، دار الهدى للطباعة الجزائر، العدد 04، 2008، ص: 95
- ¹⁴ينظر المخيل الذاتي في أحاديث لقبش: عبد القادر فيدوح، مجلة اللغة العربية، ص: 223
- ¹⁵ينظر لسان العرب: لابن منظور، دار صادر، بيروت، مادة (غ.ب.ش)
- ¹⁶المخيل الذاتي في أحاديث لقبش: عبد القادر فيدوح، ص: 223
- ¹⁷عتبات جبرار جينات من النص إلى المناس: عبد الحق بلعابد، تقديم سعيد يقطين، منشورات دار الإختلاف، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط 2008، ص: 63
- ¹⁸بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي حميد لحميداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1991، ص: 60
- ¹⁹المتخيل الذاتي في أحاديث لقبش: عبد القادر فيدوح، ص: 229
- ²⁰لقبش (سيرة ذاتية لحليب الطفولة)، ص: 09-10

²¹ المتخيل الذاتي في أحاديده لقبش، ص: 222

²² عتبات جبرار جينات من النص إلى المناص، عبد الحق بلعابد، ص: 93

²³ عتبات جبرار جينات، من النص إلى المناص: ص: 107

²⁴ لقبش (سيرة ذاتية لحليب الطفولة)، ص: 05، 06، 07.

قائمة المصادر والمراجع:

- لقبش (سيرة ذاتية لحليب الطفولة): عياش يحيوي، الديوان للطباعة، ج1، ط3، 2016
- الصورة الشعرية وأسئلة الذات (قراءة في شعر حسن نجمي): عبد القادر الغزالي دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2004.
- التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث: محمد الصفراوي ، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2008، ط 1
- سيميائية الصورة (مغامرة في أشهر الإرسالات البصرية في العالم: قدور عبد الله الثاني، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005
- الألوان ' (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها ودلالاتها): كلود عبيد، مراجعة وتقديم: محمد محمود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2013
- العنوان في الثقافة العربية (التشكيل ومسائل التأويل): محمد بازي منشورات الإختلاف، دار العربية للعلوم، دار الأمان، ط1، 2012
- لسان العرب: لابن منظور، دار صادر، بيروت، مادة (غ.ب.ش) ²⁴
- عتبات جبرار جينات من النص إلى المناص: عبد الحق بلعابد، تقديم سعيد يقطين، منشورات دار الإختلاف، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط2008، 1
- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي حميد لحميداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991

المجلات:

- استراتيجية النص المصاحب في الرواية الجزائرية (الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي للطاهر وطار أنموذجا): سعدية نعيمة: ، مجلة المخبر جامعة بسكرة، العدد الخامس، مارس 2009
- المتخيل الذاتي في أحاديده لقبش: عبد القادر فيدوح، مجلة اللغة العربية، الجزائر، العدد 39
- وظائف العنوان في شعر مصطفى الغماري: رحيم عبد القادر، مجلة أبحاث في اللغة والأدب، جامعة بسكرة، دار الهدى للطباعة الجزائر، العدد 04، 2008